HNSJ Humanitarian & Natural Sciences Journal
ISSN: (e) 2709-0833
www.hnjournal.net
مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية
مجلة علمية محكمة
معامل التأثير العربي للعام 2020م = 0.44

عنوان البحث

إيحاءات التيسير في عنونة المصنفات النحوية القديمة

م. د. شيماء رشيد حمود[1]

[1] كلية الآداب / جامعة ذي قار

تاريخ القبول: 2021/02/21م تاريخ النشر: 2021/03/01م

المستخلص

التجديد ضرورة إنسانية وعلمية، وبقاء الإنسان على نمط معين في حياته كفيل ببقائه راكدا جامدا، وإذا كان التجديد مطلبا ملحا في حياة الإنسان، فإن التجديد في مسيرته العلمية يبدو أشد ضرورة وأقوى إلحاحا، لأن العلم لا يمكن أن يجمد على حال واحدة، أو يقف عند حد معين، ذلك أن الإنسان وهو العنصر الأساس في مكوناته متجدد متطور، لهذا فقد شهدت المعارف المختلفة– ومازالت تشهد – كثيرا من التطور ومنها اللغة العربية، فهي ظاهرة طبيعية يمكن أن تخضع لظواهر التغيير وقوانين الطبيعة، التي لا تستجيب لكثير من الثوابت إلا في حدود معينة ولقوانين محصورة، والنحو العربي هو أبرز فروع اللغة التي حفلت بشيء غير قليل من محاولات التجديد ومن إدخال إصلاحات على قواعده وتهذيب أبوابه أو ترتيبها أو حذفها بل إن اللغة لا تكون بلا نحو، فاللغة مغلقة لا يفكها إلا النحو وفي هذا الإطار يندرج موضوع بحثنا الذي يتعلق بإمكانية تيسير النحو العربي . يحاول هذا البحث تسليط الضوء على اهم الآليات المنهجية التي اتبعها جمع من النحويين في التأليف النحوي وكانت الغاية منها تيسير القواعد النحوية لشرائح مختلفة من المجتمع كان من اهمها شريحة المتعلمين ، وقد اختلفت هذه الآليات وتنوعت ،اذ حاول بعضهم ان ينظم القواعد شعرا ليسهل حفظه على طلابه ، فظهرت الالفيات مثل الفية ابن معط ، وابن مالك ، بينما سعى آخرون لتأليف شروحات ومختصرات لأمات الكتب النحوية وكان الغرض منها التيسير والتسهيل، بينما اتبع فريق آخر طرائق متعددة في عرض المادة فقد يكون العرض موجزا او مبسطا او يتبع البحث اسلوب الاطناب والاسهاب لغرض التوضيح .الى اخره من الاليات الاخرى .كما يثبت انفي الكتب النحوية القديمة دعوات للتيسير بما يتفق مع المناهج اللغوية الحديثة ويقترب من فلسفة التيسير العصرية ذلك ان الشعور بصعوبة النحو قديمة قدم التأصيل لهذا العلم وتدريسه ،الا أنها لم تشكل تيارا ولكن يمكننا ان نتلمس هذا التيسير من عنوانات المصنفات القديمة وبما اوحت من دلالات توحي بغرض التيسير من وراء تأليفها وتسهيل علوم العربية . اذ لفت انتباهنا ان اغلب هذه العنوانات المصنفات النحوية كان الغرض منها التيسير، اذ يحاول البحث التعرض لأبرز هذه العنوانات ودلالاتها على السهولة والتيسير، اذ ان هناك ارتباطات وثيقة لحد ما بين العنوان وبين المصنف، كما ان العنوان له تأثيرا على المتلقي . وهناك غايات يسعى المؤلف من وراءها لعنونة الكتب، اذ يطلق عنوانا للكتاب بما يتلاءم مع محتواه العام.

RESEARCH ARTICLE

INDICATIONS OF FACILITATION IN TITLING OF OLD GRAMMATICAL BOOKS

Dr.Shaimaa Rasheed[1]

[1] College of Arts / Dhi Qar University

Accepted at 21/02/2021 **Published at 01/03/2021**

Abstract

Renewal is a human and scientific necessity, and the survival of man in a certain way in his life will keep him stagnant. If renewal is an urgent requirement in human life, renewal in his scientific career seems more urgent and urgent, because science cannot be frozen on one condition, this is a natural phenomenon that can be subject to the phenomena of change and the laws of nature, which do not respond to many constants except within certain limits. And the laws are limited, and Arabic grammar is the most important escape P language that was full of something quite a few attempts to renewal and reforms to the rules and fine tune its doors or rearranged or deleted, but the language is not without some, language is closed not only as jaw and in this context, the subject of our research, which falls to the possibility of facilitating the Arabic grammar. This research attempts to prove that in the old grammatical books calls for facilitation in line with the modern language curriculum and approaches the philosophy of modern facilitation. The sense of the difficulty of grammar as old as the rooting of this science and teaching it, but it did not form a current, but we can feel this facilitation of the titles of works.

المطلب الاول : آليات التيسير في كتب النحو القديمة

ليس من شك ان التراث النحوي والصرفي الذي تركه اسلافنا نفيس غاية النفاسة ، وان الجهد الناجح الذي بذلوه فيهما خلال الازمان المتعاقبة ،جهد لم يهيأ لكثير من العلوم المختلفة في عصورها القديمة والحديثة ... بيد ان النحو كبقية العلوم ، تنشأ ضعيفة ثم تأخذ طريقها الى النمو والقوة والاستكمال بخطى وئيدة او سريعة على حسب ما يحيط بها من صروف وشؤون ثم يتناولها الزمان باحداثه، فيدفعها الى التقدم والنمو والتشكل بما يلائم البيئة ، فتظل الحاجة اليها شديدة ، والرغبة فيها قوية ، وقد يشتط في مقاومتها فيرمى بها الى الوراء فتصبح في عداد المهملات او تكاد ... ((فمن هذا المبدأ ألم الوهن والضعف على النحو وتمالأت عليه الاحداث ،فأظهرت من عيبه ما كان مستورا ،وأثقلت من حمله ما كان خفياً، وزاحمته العلوم العصرية فقهرته وخلفته وراءها مهجورا))[1]

انجز اللغويون القدامى والمحدثون – لحلّ مشكلة استعصاء القواعد النحوية على المعلمين والمتعلمين خاصة – مختصرات تعليمية وكتبا مدرسية وبحوثا ودراسات استلهمت أفكارها من الخبرات الطويلة والملاحظات الميدانية لواقع تعليم النحو. فمنهم من ذلّل للناشئة لغته وبسط أمثلته ومنهم من اختصر قاعدته ومنهم من ساهم في توضيح طريقة تدريسه وانتقاء مادته وبناء منهجه ومنهم من ذهب إلى حدّ الغلو فحذف جزءا من أصوله وأبوابه بدعوى أنّها فضول لا خير فيه ولا يضطر إليها شيء. فجاءت هذه الدّراسة للوقوف على اهم الآليات المنهجية التي حاول ان يسير عليها بعض النحويين من مشارقة ومغاربة وكانت بغيتهم منها هو التيسير والتحبيب والتقليل من صعوبة هذا العلم الذي اتسم بالتعقيد وهذا مما أدى الى ان يسأم البعض منه ،فكان لابد من ابتكار طرائق وآليات لغرض استمالة الاخرين الى هذا العلم ، عهد هذه الآليات قديم قدم علم النحو اذ واكبت هذه الاليات التيسيرية بدايات الدرس النحوي ، وما يؤكد هذا ان اغلب المؤلفات التي ألفت كانت الغاية منها تعليمية اذ كان اغلب النحويين هم مؤدبون لأبناء الخلفاء و بعضهم الآخر كانت لديه حلقات دراسية لمجموعات من الطلبة ،وبعضهم الآخر يتكسب من هذه العلوم لذا يلجأ الى التأليف، فهذا الكسائي ت (189هـ) فقد روي عنه انه حين انتدب علي بن الحسن الأحمر (ت 194 هـ) ليخلفه في تعليم أبناء الرشيد، إذ كان الأول قد وضع خطة تعليمية محددة راعى فيها التدرج والتنوع في آن واحد، بما يتناسب مع مستوى المتعلمين، فقال ينبه "الأحمر" الذي كان سينوب عنه في تعليم أبناء الخليفة: ((إنما يحتاجون كل يوم إلى مسألتين في النحو، وبيتين من معاني الشعر، وأحرف من اللغة))([2]) وعند الاطلاع على اغلب مقدمات المؤلفات النحوية المبكرة في الدراسة نجد ان كثيرا منهم يشير الى الغاية من التأليف و كانت في اغلب مضامينها تدور في فلك التيسير والتسهيل . وربما هذا الكلام يتعارض مع الدعوات التيسيرية التي يقال انها ابتدأت بدعوة ابن مضاء وانتهاء بالدعوات التيسيرية في العصر الحديث .الا أني اقول ان بوادر التيسير كانت مبكرة في التراث اللغوي وان هذه المؤلفات التي نعتت بالصعوبة كانت مواكبة لعصرها فكتاب سيبويه مثلا ألف في عصر ازدهار الفصاحة وكان العلم في بداياته الاولى فلابد من ان يفرغ المؤلف كل ما لديه عن هذا العلم ولاشك ان تضطرب منهجيته اذ يشكل الكتاب من بواكير التأليف النحوي فضلا عن غيره من المؤلفات ، بعد ذلك توالت المؤلفات في هذا المجال اذ صنفت كثير منها في خدمة المصنفات الاولى اذ تناولوها بالشرح والتنقيح او الاضافة او الاستدراك او التجزئة الى موضوعات فرعية .ومع تقادم الازمان ظهر نوع آخر من التأليف كانت الغاية منه التيسير اذ انبرى بعض النحويين الى نظم القواعد على شكل منظومات شعرية للابتعاد عن المؤلفات الواسعة واختصارا للوقت وتسهيلا لحفظ القواعد وكان نتاج هذا العمل ان ظهرت الالفيات المنظومة امثال الفية ابن معط والفية ابن مالك وغيرها .وبالرغم من اصطباغ هذه المنظومات بالصبغة التعليمية ومع كل هذا انبرى جمع من النحويين تناولوها بالشرح والتسهيل وظهرت المصنفات الخاصة بشرح هذه المنظومات ، إذ شرع نحاة العربية في تصنيف المختصرات والمتون النحوية الموجزة، وغايتهم في

[1] النحو الوافي ،عباس حسن :1 /6.

[2] بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، السيوطي : 1 /334.

ذلك تقديم النحو سهلا، ((وإن كانت هذه المختصرات في جملتها تدور في فلك المطولات التي تناسب المتخصصين، من حيث احتواؤها على أبواب النحو أو اقتصارها على جانب منها، ولكن دون تزيد في التفريعات أو التعليقات التي تثقل كاهل الدارسين، مع اختلاف أصحاب هذه المختصرات فيما يقدمون وما يطرحون من قضايا ومسائل نحوية)) [(3)].

وبين تلك وتلك هناك آليات منهجية اتبعها النحاة في بعض المصنفات اللغوية قديما وحديثا كانت بغيتها التيسير او انها تومىء بالتيسير ومن هذه الاليات:

1 – اختيار عنوانات ذات ايحاءات تيسيرية وسوف نركز على هذه الالية باعتبارها أنموذجاً للبحث .

2 – اختصار بعض المؤلفات المطولة ،اذ عمد جمع من النحويين لاختصار مجموعة من المصنفات المطولة وتلخيصها بكتيبات ومصنفات مختصرة تفي بالغرض ، او كانت هذه المختصرات عبارة عن شروح وتعليقات او حواشي .

3 – سهولة اللغة التي صيغت بها المادة النحوية إن اللغة النحوية يجب أن تتسم بالإيجاز والاختصار، فالمتون النحوية لا أحد يستطيع إنكار فضلها، وعظم شأنها في علم النحو، فهي مناسبة لأهل البصرة والكوفة ، يوم كانوا متفرغين لها، ولفهمها وحفظها، وفك طلاسمها، فكانوا ملازمين للعلماء الذين وضعوه ا، يرجعون إليهم، يسألونهم، ويناقشونهم، ولما تقادمت الازمان وانتقلت هذه العلوم إلى ما وراء البحار ، إلى بلاد الأندلس ظهرت صعوبتها وبدت خصائصها النحوية التي تعجز العقول عن فهمها، لذلك كان لابد لها من مشمر يزيل عنها غبار التعقيد، فتصدى عدد من العلماء لتلك المتون النحوية يشرحونها ويوضحون مشكلها.

4 – الترتيب الواضح لأبواب الكتب، اتسمت اغلب المصنفات النحوية بالتبويب الميسر للعنوانات الرئيسية والفرعية للأبواب النحوية المتعددة، وربما سار اغلبهم على هدي سابقيهم في هذا التبويب والترتيب.

5 – استخدام اسلوب الحوار أو إن شئت قل مشاركة القارئ في الحوار وهو ما يعرف اليوم بالتعلم الذاتي أو بالتعليم دون معلم، إذ أننا لاحظنا هذا الأسلوب كثيرا في نصوص مثلا (كتاب الواضح)فنجد مثلا قوله: "ألا ترى أن الباء تحسن في مثل هذه الأخبار، تقول: ما زيد بمنطلق وكذلك قوله: " فإن قيل لك أين الرفع في قولك رجل، فقل: في اللام، فأن قيل لك اين النصب : في قولك (رجلا) ، فقل : في اللام))[(4)]، ان استخدام المؤلف لهذه الكلمات (ألا ترى، تقول، فقل، قيل) وغيرها تشعر القارئ بأنه مشارك في الدرس، وفي مناقشة القضية النحوية المطروقة، وتخرجه من دائرة التلقي التي تسمو في بعض المؤلفات النحوية القديمة.

6 – التقليل من الشواهد الشعرية والاعتماد على الشواهد التركيبية حرص بعض النحاة على سوق أمثلة سهلة في تركيبها ومعجم مفرداتها.

7 – الاكثار من اعراب الامثلة الميسرة.

8. الابتعاد عن المسائل الخلافية بين المذاهب النحوية .نأى بعض النحويين بنفسه عن سوق الخلافات النحوية المطولة واكتفوا بذكر المسائل النحوية مجردة عن ذلك .

9 – الابتعاد عن الحشو الذي لا طائل منه، هذه السمة واضحة في بعض مؤلفات المغاربة امثال كتاب التوطئة للشلوبين، والواضح للزبيدي، فالزُّبَيْدِي مثلا يدخل في القاعدة النحوية مباشرة دون الحاجة إلى مقدمات أو تمهيد، فيقول مثلا في أحد أبواب كتابه: "إذا

[3] التفكير اللغوي بين القديم والجديد ،كمال بشر :495 .

[4] الواضح في علم العربية ،الزبيدي :1 /237 .

أدخلت ما على اسم فحسنت الباء في خبره، فارفع ذلك الاسم وانصب خبره، تقول: ما زيد منطلقا، فما حرف نفي"([5]). فالكلام السابق هذا يعتبر قاعدة نحوية يصل الطالب إليها بيسر وسهولة دون الحاجة إلى حشو لا طائل من ورائه إلا إضاعة الوقت والجهد، وربما أدخل القارئ في متاهات هو عنها غني.

10 – الابتعاد عن التأويل والتقدير هذه الظاهرة تدل بشكل لا لبس فيه على رغبة المؤلف في التيسير والتسهيل على المبتدئين من الطلبة في دراسة النحو، قد ابتعد عن هذه الظاهرة، وعزف عنها جملة من النحاة فمقومات التيسير عندهم تقوم على الانتقاء والاختصار، والاستعانة بالأمثلة والتقليل من الشواهد، وعدم التطرق للآراء المختلفة، كما نادوا بعدم الإكثار من الاختصارات والمتون، واضعين نصب أعينهم الرؤية التربوية، كذلك ما يلاحظ على القدامى من اللغويين أنهم ((لم يكن بينهم خصومة تذكر حول موضوع التيسير ومسألة تقريب القواعد من المتعلمين لم تكن تشكل قضية بالنسبة إليهم، ولم تكن مطروحة بحدة عندهم، فقد كانوا على وعي بضرورة وجود مستوى من المؤلفات النحوية المختصرة الميسرة))([6]):

من أبزر هؤلاء خلف الأحمر"(ت 180 هـ) الذي صنف " مقدمة في النحو "، وذكر فيها الهدف صراحة قائلا: ((لما رأيت النحويين و أصحاب العربية أجمعين قد استعملوا التطويل، وكثرة العلل، وأغفلوا ما يحتاج إليه المتبلغ في النحو من المختصر، والطرق العربية، والمأخذ الذي يخف على المبتدئ حفظه، ويعمل في عقله، ويحيط به فهمه، فأمعنت النظر والفكر في كتاب أؤلفه وأجمع فيه الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين، ليستغني به المتعلم عن التطويل، فعملت هذه الأوراق، ولم أدع فيها أصلا ولا أداة ولا حجة ولا دلالة إلا أمليتها فيها، فمن قرأها وحفظها علم أصول النحو كله مما يصلح لسانه في كتاب يكتبه، أو شعر ينشده))([7]) فمحاولة التيسير في مقدمته جلية، وعزوفه عن منهج النحاة في التطويل والتعليل واضحة في تعبيره، وما كان أن يفعل ذلك لولا الشعور بالمشكلة ،واستحضار العوائق التي تحدثها طرائق التأليف الأخرى.

بل يؤيد هذا ما ينقل عن الجاحظ أنه كان يوجه المؤلفين في النحو بقوله ((لا تشغل قلبه (أي الصبي) إلا بقدر ما يؤدي به إلى السلامة من فاحش اللحن، ومن مقدار جهل العوام في كتاب إن كتبه، وشعر إن أنشده... ، وما زاد على ذلك، فهو مشغلة عما هو أولى به، ومذهل عما هو أرد عليه منه من رواية المثل، والشاهد والخبر الصادق، والتعبير البارع))([8]).

والدليل على ان اغلب النحويين القدامى قد سلكوا منهج التيسير انهم الفوا مختصرات كثيرة فقد ألف كتابًا مختصرًا في النحو أحمد بن يحيى ثعلب (ت 291 هـ) وأبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان (ت 299هـ)، وابن شقير (ت 317 هـ) ، وألف الزجاجي (ت 337 هـ) كتاب الجمل في النحو تجنب فيه الخلاف والأقوال الشاذة والتفريعات والتعديلات والأقيسة التي لا تنفع الناشئة مع الأسلوب الواضح فنال الكتاب نجاحًا كبيرًا وتلقاه الدارسون بالقبول وشرح أكثر من مئة وعشرين شرحا([9]) وألف أبو جعفر النحاس (ت 338 هـ) مختصرا في النحو أسماه(التفاحة)ذ قدم فيه مادة النحو للناشئة في غاية الاختصار والإيجاز، وألف أبو علي الفارسي (ت 377 هـ) صاحب الموسوعات كتابا مختصرا في النحو أسماه الأوليات في النحو ولعلي بن عيسى الرماني(ت 384 هـ) كتاب الإيجاز في النحو وهو مختصر

ولأبي الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ) كتاب اللمع وهو مختصر في النحو، ولعبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) مختصر في

---

[5] المصدرنفسه :102/2 .

[6] تيسير النحو ،ترف أم ضرورة ،محمد صاري :15

[7] مقدمة في النحو ،خلف الاحمر :33 –34 .

[8] تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا ،شوقي ضيف :13 .

[9] ينظر : الجمل في النحو ،مقدمة المحقق : 18 .

النحو أسماه الجمل، واختصره الخطيب التبريزي أبو زكريا يحيى بن علي(ت 502 هـ) في مقدمة موجزة، ولأبي منصور الجواليقي (ت 540 هـ) مختصر موجز في النحو، ولأبي محمد عبد الله بن بري (ت 582 هـ) مختصر آخر، وألف أبو الفتح ناصر صدر (الأفاضل بن أبي المكارم المطرزي (ت 610 هـ) مختصرا في النحو باسم المصباح [10] .

وألف أبو بكر الزُّبَيْدِي الأندلسي كتابًا مختصرًا في النحو (الواضح في العربية) يعد من أشهر الكتب المختصرة الذي ألفه صاحبه في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وربما وضعه بعد أن عمل مربيا لولد الحكم المستنصربالله صاحب الأندلس([11]) ، فكان هذا الكتاب حصيلة تجربة علمية بحتة، عمل خلالها المؤلف مؤدبا.

وألف أبو علي عمر بن محمد الشلوبين (الشلوبيني) الأندلسي كتاب التوطئة [12] وهو متداول بين الناس، ووضع محمد بن مالك (ت 672 هـ) عدة الحافظ وعمدة اللافظ ، وكتاب تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد في النحو ، وأبو حيان النحوي (ت 745 هـ) الذي ألف أكبر موسوعة في النحو–كتاب ارتشاف الضرب ألف كتابا مختصرا هو اللمحة البدرية في علم العربية .[13].

كان الهدف من مؤلفاتهم المذكورة اعلاه والغاية من التأليف كانت تربوية، إذ إن مقدمات مختصراتهم ومتونهم توحي بذلك وتبين أنهم قصدوا التقريب من المتعلمين، وهذا ما صرح به "ابن السراج" في أكثر من موضع بأن مؤلفه "الأصول في النحو": تعليمي، يقول: ((ولما كنت لم أعمل هذا الكتاب للعالم دون المتعلم، احتجت إلى أن أذكر ما يقرب المتعلم))[14]

أن علماء النحو القدماء – على الرغم مما ذكر– لم يدركوا من هذه الصعوبات إلا القليل، لقربهم من عصور السلامة، وقدرتهم على تحصيل الملكة " وحتى تلك العيوب المحدودة لم تنل منهم اهتماما كافيا، فقد عالجوها فرادى، من غير أن يعرض لها إمام بالتجميع والحصر ووصف العلاج. . . على كثرة الأئمة الباحثين، وفيض الكتب والرسائل التي تتصدى للنحو وقضاياه [15]

المطلب الثاني: ايحاءات التيسير في عنونة المصنفات النحوية القديمة

العنوان هو السمة والعلامة والأثر يستدل به على الشيء بوجه من وجوه التعريض لا التصريح. اصطلاحا يعرف العنوان بقوله : ((هو مجموعة من العلاقات اللسانية قد ترد طالع النص لتعيينه وتعلن عن فحواه وترغب القراء فيه)) [16] ويسهم تحديد وظيفة العنوان في فهم النص وتفسيره ، والعنوان بما هو دلالة وعلامة فأنه ايحاء شديد التنوع والثراء مثله مثل النص بل عده جيرار جنيت موازيا له

«إذ يُعد العنوان مرسلة لغوية تتصل لحظة ميلادها بحبل سري يربطها بالنّص لحظة الكتابة والقراءة معا، فتكون للنّص بمثابة الرأس للجسد؛ نظرا لما يتمتع به العنوان من خصائص تعبيرية وجمالية كبساطة العبارة، وكثافة الدلالة، وأخرى استراتيجية، إذ يحتل الصدارة

[10] التجديد النحوي عند شوقي ضيف ،عبد المنعم عبد السلام :10،مجلة علوم اللغة ،مج 5،2002

[11] تيسير العربية بين القديم والحديث،عبد الكريم خليفة:47

[12] ينظر : التوطئة ،الشلوبين ،تح :يوسف المطوع .

[13] ينظر :التسهيل ،ابن مالك ،و اللمحة البدرية ،ابو حيان .

[14] الاصول في النحو ،ابن السراج :37 .

[15] اللغة والنحو بين القديم والحديث ، عباس حسن :71

[16] العنوان وسيموطيقا الاتصال الادبي :16 .

في الفضاء النّصي للعمل الأدبي))[17]

فهو: ((نظام سيميائي ذو أبعاد دلالية وأخرى رمزية، تُغري الباحث بتتبع دلالاته، ومحاولة فك شفرته الرامزة)) [18].

يحمل العنوان وسم عمله ،وهو في الوقت ذاته يتمتع باستقلالية وظيفية توفرها له اولوية التلقي، ((ففعالية ذات المتلقي تنصب اول ماتنصب على العنوان الذي يمثل اعلى اقتصاد لغوي ممكن)) [19] وقد نالت هذه الصفة قدرا كبيرا من الاهمية ،اذ انها في المقابل ستفرض اعلى فعالية تلقي ممكنة فـ ((العنوان للكتاب كالاسم للشيء به يعرف وبفضله يتداول ، يشار به اليه ، ويدل به عليه ،يحمل وسم كتابه ،وفي الوقت نفسه يسمى العنوان ،بايجاز يناسب البداية ،علامة من الكتاب جعلت عليه))[20] والعنوان الناجح هو مايحقق اكبر قدر من الوظائف والتي تكون في العادة وظائف تأويلية او نفسة واجتماعية او اعلانية تجارية ،وهذا مايفسر اهتمام المرسل عادة بالعنوان اهتمامه بالعمل ((فالعمل والعنوان متكافئان تكافؤا سيموطيقيا الى الحد الذي يجعل الاهتمام بواحد منهما دون الآخر اهدارا ،ليس لما اهمل فحسب ،وانما لما تم الاهتمام به كذلك)) [21]

.كما انه تتكون في العنوان علاقة نوعية مع العمل ومقاصده ((المحيط الداخلي نجده يحقق وظيفة وعلاقة اخرى مع محيطه الخارجي ،وقد تكون هذه العلاقة تأويلية ،نفسية ،اجتماعية ، اعلانية تجارية))[22] اذ ان الوظائف التي انيطت للعنوان متعددة لانستطيع حصرها ،وذلك لاختلافها من حيث ماهية العنوان في كونه عنوانا لكتاب او بحثا او عملا ابداعيا ،فلكل اتجاه عناوينه الخاصة به. حتى ان علم اللغة النصي الحديث يحاول البحث في العلاقة بين مضمون النص وعنوانه وينطلق في ذلك من ان عنوان النص يتأثر باعتبارات سيمولوجية ودلالية وبراجماتية ، فالعنوان وبما في ذلك العناوين الفرعية لها قيمة ((سيمولوجية او اشارية تفيد في وصف النص ذاته)).[23]

فهناك علاقة تكاملية بين العنوان والنص فغرابة العنوان تحفّز القارئ للبحث عن دلالته ومدى صلته بالمتن.

ان الكتب النحوية القديمة كانت فيها دعوات للتيسير بما يتفق مع المناهج اللغوية الحديثة ويقترب من فلسفة التيسير العصرية مثلما ذكرنا آنفا ان صعوبة النحو قديمة قدم التأصيل لهذا العلم وتدريسه وقد سارت بمحاذاتها طرائق للتيسير ،الا أنها لم تشكل تيارا ولكن يمكننا ان نتلمس دافع المؤلف لهذا التيسير من عنوانات المصنفات ، والحقيقة أن اختيار اسم الكتاب فن ليس من السهل اتقانه، مع ذلك برع علماء النحو بأختيار أسماء كتبهم وعناوينها بما يناسب محتواها العام ، فالزُّبَيْدِي مثلا اختار الواضح لأنه احتوى أبواب النحو بشكل واضح ومرتب [24]، وابن عصفور اختار "الممتع في التصريف" لعله يقرب الصرف إلى أذهان الطلاب ويحببه إليهم ، فكان يقول : ((إن علم الصرف ممتع، ولا صحة لما يقال عن صعوبته)) [25]، وابن مالك الجياني اختار لكتابه المختصر اسمًا مسهلا لقواعد النحو وفوائده ، وهذا الفن في اختيار العنوان له فائدة عظيمة، لأن العنوان هو أول ما يلقى القارئ قبل أن يشرع بقراءة الكتاب، فإذا استهواه العنوان فسيقبل على الكتاب مرتاح البال، خالي الفكر، وإذا نفر القارئ من العنوان نفر من

---

17 معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ،مجدي وهبة :262 .

18 العنوان وسيموطيقا الاتصال الادبي ،محمد فكري الجزار :10 .

19 مبادىء في اللسانيات العامة ، اندريه مارتيني :223.

20 العنوان وسيموطيقا الاتصال الادبي :8 .

21 المصدر نفسه :15.

22 العنوان وسيموطيقا الاتصال :16 .

23 اللغة والابداع الادبي ،محمد العبد : 48 .

24 ينظر : الواضح ،مقدمة المحقق : 13 .

25 الممتع في التصريف ، ابن عصفور:1 / 21 .

الكتاب كله لذا كانت اغلب المتون النحوية التعليمية تتسم بعنوانات ذات دلالات توحي بالتيسير وهذا ما اتضح لنا ،ومن ابرز هذه الدلالات مع الامثلة :

1 – دلالة الاختصار

كانت اغلب هذه المتون تحمل عنونة توحي بالاختصار ،وقد تنطبق هذه السمة عليها او لا ،الا ان قصدية المرسل منها هو التسهيل والتيسير ، وهذا ما أكده بعضهم في مقدمات مؤلفاتهم ، اذ صادفتنا متونا نحوية معنونة بـ (المقدمة) او المختصر واليكم بعض الامثلة :

1 – مختصر في النحو للكسائي ت (189 هـ)

2 – مختصر نحو المتعلمين للجرمي ت (225 هـ)

3 – مختصر في النحو لابن كيسان ت (299 هـ)

4 – مختصر للزجاج ت (310 هـ)[26]

2 – دلالة الايجاز

هناك كتب نحوية وسمت بعناوين تحمل دلالة الايجاز لانها لم تتعد بعض الصفحات الا انها حملت بين طياتها مادة نحوية مكثفة تفي بالغرض ،ومنها:

أ – الموجز في النحو لابن السراج .

ب – الايجاز في النحو للرماني[27] .

يقول محقق كتاب الموجز في النحو : ((اما كتاب الموجز فنرى تسمية الكتاب تتفق مع ما في داخله من ايجاز ، لان القواعد العلمية قد صيغت بأسلوب موجز)) ([28])

3 – الشمولية

يمكن ان يدخل في هذا الباب تلك الكتب التي وسمت ب (الجمل) ، اذ يحمل العنوان دلالة الاختصار والشمول ،ويتبين من المتون انه ليس المقصود بـ (الجمل) جمع (جملة)اذ انه من الاجمال المختصر ، اذ لم تعالج هذه المتون مبحث الجملة على الاطلاق ،وجميعها كتب مختصرة ،اشار واضعوها الى غاية الاختصار والشمول التي يسعون اليها([29])

أ – الجمل المنسوب للخليل

أ – الجمل في النحو للزجاجي

ب – الجمل في النحو لابن خالويه

---

[26] ينظر : الفهرست ، ابن النديم :72، 62، 89، 66 .

[27] معجم الادباء :الحموي :4 /2718.

[28] الضوء الوهاج على الموجز ، ابن السراج ،34.

[29] ينظر :الجمل في النحو ،الزجاجي :مقدمة المحقق .

ج – الجمل لعبد القاهر الجرجاني

د – الانموذج في النحو للزمخشري

هـ – الكافية لابن الحاجب

4 – دلالة التمهيد

طرز بعض النحويين عنوانات مؤلفاتهم بـ (المقدمة ، المدخل ، التوطئة) للدلالة على انه محتوى الكتب يمثل تمهيدا للقواعد والمسائل النحوية لترغيب المتلقي واستمالته وجذبه لقراءة الكتاب بأنه يحو مقدمات هذا العلم وليس تفاصيله المتفرعة والمتشعبة،ومنها :

أ – المقدمة في النحو لخلف الاحمر

ب – المدخل في النحو

ج – المقدمة المحسبة لابن بابشاذ

د – التوطئة للشلوبين

فمثلا اختار أبو علي الشلوبين لمصنفه اسمًا يعطي القارئ والمطلع عليه، أن هذا الرجل يرغب في التخفيف والتسهيل[30] ، فعنوان "التوطئة" يوحي لنا بأن هذا الكتاب ما هو إلا مقدمة ومدخل للذي يريد دراسة علم النحو بالتفصيل، والمعلوم أن الذي يؤلف كتابًا أو يضع رسالة يصدرها بتوطئة أو مقدمة أو تمهيد يبين فيها أجزاء رسالته أو كتابه وكذلك فعل الشلوبين ، فعلم النحو علم عظيم، لا يسعه كتاب أو مجلد وما الموسوعات النحوية التي ألفت إلا دليل على ذلك، فهو اختار اسم التوطئة ليوضح للدارسين أن هذا الكتاب ما هو إلا مدخل وتوطئة لعلم النحو العربي، فالذي يريد أن يتعلم النحو ليستقيم لسانه، ويحسن قوله فهذا الكتاب يكفيه، وأما الذي يريد التخصص فيه ليصبح عالمًا ومتخصصًا فما هذا الكتاب إلا توطئة ومدخلا له، وعليه بعد ذلك البحث عن علم النحو في الكتب النحوية الضخمة كالكتاب والمقتضب والخصائص وارتشاف الضرب وغيرها من الكتب النحوية [31] .

5 – دلالة الوضوح

عندما يكون العنوان موحيا بحقيقة الوضوح في المتن التعليمي لكي يتلقى الطالب ثمرات هذا العلم بنفس منشرحة وعقل منفتح ،وتطرد التخوف والتهيب من ذهنه ، هذا بالطبع سيكون له اثر ايجابي في نفوس شداة العلم ،وهذا ما أثبته العلم الحديث الذي يؤكد الدور الكبير والخطير لعملية الايحاء اذا اقترن العنوان بحقيقة الوضوح ،ومن هذه المؤلفات :

أ – الايضاح ،ابو علي الفارسي ت(377 هـ)

ب – الواضح ، ابو بكر الزبيدي (379 هـ)

اذ يقول عبد الكريم خليفة عن كتاب الواضح:((عني الزبيدي في كتابه الواضح بأيراد الامثلة الكثيرة الشائعة الاستعمال /محاولا تقويم التراكيب اللغوية الدارجة على الالسن ،واشاعة الصحيح منها . .سالكا بذلك طرق اليسر والسهولة دون ان يثقل ذهن المتعلم بكثير

[30] ينظر : التوطئة ، الشلوبين :11 .

[31] ينظر : التوطئة ،مقدمة المحقق :102 –103.

من قواعد اللغة العربية))[32] فغدا العنوان دالة سيمائية بارزة في الانباء عن ماهية الكتاب، ويكون حلقة وصل مهمة بين المرسل والمتلقي .

6 – دلالة التقريب والتسهيل

هناك عنوانات وسمت بالتسهيل والتقريب لطالب العلم او التفصيل لكل ابوابه والغاية من هذا التفصيل هو لجعل هذه القواعد سلسة وميسرة ومنها :

أ – المقرب لابن عصفور ت 669 هـ

ب – المفصل في صنعة الاعراب للزمخشري ت (538 هـ)

ج – تسهيل الفوائد لابن مالك

فمثلا اتسم منهج ابن عصفور في كتابه (المقرب) بالدقة في التعريفات والحدود وحسن التقسيم والتنظيم بغية الضبط وحصر الموضوعات ، وذلك للتسهيل وتقريب المسائل الى الاذهان ، اذ وصفه مولفه بأنه ((تأليف منزه عن الاطناب الممل والاختصار الممل ،محتو على كلياته ، مشتمل على فصوله وغاياته)) ([33])

7 – دلالة اعلانية وترويجية

الترويج دلالة فنية اعلانية تحوي عناصر الجذب والاغراء ،استخدمها علماء النحو ومعلموه بذكاء واتقان ، فنجدهم يجملون النحو ويقربونه الى النفوس بعنوانات براقة مشعة او حتى مشهية ،ومن ابرزها :

أ – التفاحة في النحو للنحاس ت (377 هـ) .

ب – اللمع في العربية لابن جني ت (392 هـ) .

ج – ملحة الاعراب للحريري ت (516 هـ)

د – المصباح لناصر الدين المطرزي ت (610 هـ)

هـ – الدرة الالفية في علم العربية ،لابن معط ت (628 هـ)

كان كتاب التفاحة كتاب مختصر يقع في ستة عشرة ورقة الا انه تناول شتى ابواب النحو وموضوعاته بصورة واضحة وطريقة يفرضها الاختصار اذ يذكر القاعدة ويعتمد على الامثلة دون الاستشهاد بالقرآن الكريم او الشعر ، اذ شكل وجبة علمية صغيرة ،ولكنها غنية الفوائد ، كالتفاحة تماما ([34])

8 – عنوانات موسيقية

ظهر احتراف النحاة بهذا الفن فيما بعد اكثر فاكثر ، اذ اخذوا يتأنقون باختيار العنوانات اذ اضافوا اليها من السجع ماكسبها جرسا موسيقيا جماليا ، فالخفة في اللفظ اسهم في شيوعها وانتشارها، كما يلحظ ان مراعاة السجع في العنونة بوصفه نمطا اشاريا وانموذجا

[32] تيسير العربية بين القديم والحديث :47

[33] المقرب ،ابن عصفور :43 .

[34] ينظر :كتاب التفاحة في النحو ،النحاس :تح كوركيس عواد .

من نماذج السيمائية اللغوية ، فهو جزء من الوسائل التي يعبر بها عن قيم جمالية ، ومكنونات موسيقية ايحائية تنشر ايحائها في العنونة ، وربما هذا يلمح الى روح العصر الذي ألفت فيه ، فتكون محاكاة للصنعة والتزيين والتنميق ومنها :

1 – ارتشاف الضرب من كلام العرب لابي حيان الاندلسي ت (745 هـ)

2 – الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي ت (749 هـ)

3 – شذور الذهب في معرفة كلام العرب ، قطر الندى وبل الصدى ابن هشام الانصاري 761 هـ

9 – العنونة بمفردة (شرح)

وسمت بعض المؤلفات ب(شرح) لمصنفات اخرى قد تكون مطولة او لغة صعبة ، او شروح للمنظومات الشعرية اللغوية وقد تركت بعض الشروح غفلا من اي عنوان ،لانها رأت في الشرح ماينبه على الغاية التعليمية الميسرة فنسبت اغلب هذه الشروح الى اصحابها ،هذا وقد نستدل من خلال العنونة بـ (شرح) على تميز هذه الفترة من تاريخ الدرس النحوي في شرح المتون النحوية ،وكأنه قد اصبح يعسر على الافهام قراءة هذه المتون ،مما حدا بهم الى شرحها ، وتحليلها بغية الفهم والافهام ، وزيادة في الفائدة ،فتغدو هذه العنونة اشارة سيمائية تعبر عن العصر .

وآثرت بعض الشروح ان تعلن عن غايتها في الايضاح من خلال العنوان ، على نحو مانرى في (توضيح المقاصد والمسالك بشرح الفية ابن مالك ،للمرادي ، و(اوضح المسالك الى الفية ابن مالك) لابن هشام

ان كل هذه الدلالات التي ذكرت هي محاور رئيسة لمرتكزات علمية تعليمية ، ترقى بالعمل اذا ماتحققت فعلا فيه ، وتجعله ناجحا على المستوى التعليمي لدى النحاة القدامى ،واحاطتهم باصوله ومبادئه وحيثياته على المستوى النظري في الاقل .

الخاتمة

انبرى بعض العلماء للتصدي لحل المشكلة التي جعلت من الدرس النحوي من الصعوبة بمكان لا يستسيغه المتعلم فألفوا كتباً تحمل من البساطة واليسر ما يسهل على متعلمي اللغة العربية الأخذ بها دون تكلف أو تقيد.

ونادى بعضهم بتيسير النحو من خلال إبعاد التأويلات المنطقية والفلسفية وإلغاء العامل والعلة والقياس المنطقي حتى أصبحت هذه الدعوات منهجاً للتأليف وسميت عند النحاة المحدثين بتيسير النحو غير أن هذا لا يعني ان علماء العربية القدامى لم يكن لهم نصيب في هذا الاتجاه بل ان بعضهم له جهودا واضحة في هذا الأمر.

بان واضحا في البحث رغبة العلماء في تيسير النحو على الناشئة حيث أحسوا من الدارسين عزوفا عن قراءة المطولات، على أننا لا نقلل من قيمة تلك الموسوعات فإن الباحث المتخصص بحاجة إليها .

لكن بعض العلماء فكروا في البحث عن أسلوب تيسير النحو ، وظنوا أن تأليف المختصرات التي اختصرت بعض أبواب النحو وحذفت بعض أبوابه هو أسلوب التيسير ولكنهم اجتهدوا فأخطأوا، فالتيسير ليس اختصارا ولا حذفا للشروح والتعليقات ولكنه عرض جديد للموضوعات النحوية يمكن الناشئة من استيعاب النحو مع إصلاح شامل لمنهج الدرس النحوي وتخليصه مما علق به من شوائب فلسفية ومنطقية، ولو سلكوا الطريق الصحيح لأوصلهم إلى التيسير .

حاول البحث ان يحلل بعض عنوانات المصنفات القديمة محاولة لربطها بالدعوات التيسيرية بما تحوي من دلالات توحي عن ذلك اذ تبين ا ن مؤلفيها قد افصحوا عن ذلك جهرا او ضمنا .

المصادر والمراجع

- الاصول في النحو ،ابن السراج ،تح: عبد الحسين الفتلي ،مؤسسة الرسالة ،د.ت .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،السيوطي ،تح :محمد ابو الفضل ابراهيم ،القاهرة ،1964 .
- تجديد النحو ، شوقي ضيف ،دار المعارف ،القاهرة ،1982 .
- التجديد النحوي عند شوقي ضيف ،عبد المنعم عبد السلام،مجلة علوم اللغة ،مج 5،2002
- التفاحة في النحو ،النحاس ، تح ، كوركيس عواد ،مطبعة العاني ،بغداد ،1962
- التفكير اللغوي بين القديم والجديد ،كمال بشر ،دار غريب للطباعة والنشر ،القاهرة ،مصر ،2005 .
- التوطئة ،ابو علي الشلوبين ،تح :يوسف المطوع ،دار التراث العربي ،القاهرة ،1973
- تيسير العربية بين القديم والحديث ،عبد الكريم خليفة ،منشورات مجمع اللغة الاردني ،عمان ،د.ت .
- تيسير النحو ،ترف ام ضرورة ،محمد ضاري، مجلة الدراسات اللغوية ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد الثالث، العدد الثاني، سبتمبر 2001 م.
- تيسير النحو التعليمي قديما وحديثا ،شوقي ضيف ، القاهرة ، دار المعارف ، 1986.
- الجمل في النحو ، الزجاجي ،تح : علي توفيق الحمد ،مؤسسة الرسالة ،بيروت ، ودار الامل ، اربد ،ط1 ، 1984 .
- السيموطيقا والعنونة ،جميل حمداوي ،عالم الفكر ،الكويت ،مج 25 ،ع 3 ،1997 .
- سيمياء العنوان ،بسام قطوس ،منشورات وزارة الثقافة ،عمان ،ط1 ،2001 .
- الضوء الوهاج على الموجز ، ابن السراج ،تح : محمد محمد سعيد ،مطبعة الامانة ، مصر ، 1980 ،34
- العنوان وسيموطيقا الاتصال الادبي ،محمد فكري الجزار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة 1998
- الفهرست ،ابن النديم ،القاهرة ،1979 .
- اللغة والابداع الادبي ،محمد العبد ،دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ،القاهرة ،1989 .
- اللغة والنحو بين القديم والحديث ،عباس حسن ،القاهرة ،دار المعارف ،1971 .
- مبادىء في اللسانيات العامة ،اندريه مارتيني ،سلسلة العلم والمعرفة ،دار الافق ،د.ت .
- مقدمة في النحو ، خلف الاحمر ، تح عز الدين التنوخي،مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم،ط 3،دمشق، 1961 م
- المقرب ،ابن عصفور ،تحقيق عادل عبد الموجود وعلي معوض ،بيروت ،دت .
- معجم الادباء ،ياقوت الحموي ،تح :احسان عباس ،مؤسسة المعارف ،بيروت ،ط1 ،1990 .
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب ،مجدي وهبة ،، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1984
- الممتع في التصريف ، ابن عصفور الاشبيلي ،تح : فخر الدين قباوة ،مكتبة لبنان ناشرون ،بيروت ،ط1 ،1989 م .
- الموجز في النحو ،ابن السراج ،تح : محمد محمد سعيد ،مطبعة الامانة ،مصر ، 1980
- النحو الوافي ،عباس حسن ،دار المعارف ،ط5 ،1973 .
- الواضح في علم العربية ، الزبيدي ،تح:عبد الكريم خليفة ،منشورات الجامعة الاردنية ، الاردن .